Edited with the trial version of
Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit:
www.foxitsoftware.com/shopping

نحو تكامل اللسانيات التحويلية التوليدية والعلوم العرفنية

د. لعويجي أحمد

جامعة محمد بوضياف المسيلة

ملخص:

أدرك الباحثون ومنذ أمد بعيد أنّ الظّاهرة اللّغوية لا تحدث بمعزل عن النشاط الذّهني، وما يصاحبه من أفعال عقلية؛ كالتّحليل، والتّركيب والتّنسيق... ممّا يوحي بالطّابع المعقّد للفكر البشري الّذي يستوجب تضافر اختصاصات عدّة: كاللّسانيات، وعلم النفس اللّغوي، وعلم النفس التّربوي، والذّكاء الاصطناعي، وغيرها من العلوم العرفنية؛ للإجابة عن جملة من التّساؤلات الّتي تبحث في ماهية الذّهن وطريقة عمله، وكيفية حدوث العمليات الذّهنية المصاحبة للنّشاط اللّغوي، والمُنتجة للظّاهرة اللغوية، وفي طريقة تفكير البشر، وغيرها ممّا يخامر العقل البشري من أسئلة تتعلق بالجوانب الغامضة من هذه الظّاهرة.

Abstract:

It was a long time that schoolar linguists have realized that. The linguistic phenomenon can mot be detouched from human cognitive activity and the different forms of it like: analyzing, installing and coordinating, cahich give an idea abowt the complex natuve of human thenking. human thenking comfines many different fields like linguistics, linguistic pychology, sychopedgoy and artificial intelligence and other sciences. To answer the questions that evolue around the mature of the mind and the way it functions, added to the different cognitive activities that work colth linguistic activity which result in the linguistic phenomenon and human way of thinking and other questions that tackile the implicit aspects of this phenomen.

توطئة:

اللغة كظاهرة أو كنسق تشير إلى الأشياء وخاصة المادية منها؛ فتجردها في أصوات أو أشكال تقي المستعمل للغة أو المتلقي لها عن إحضار هذه المجردات، واللغة في أشكالها وفي صورها متنوّعة

Edited with the trial version of Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit: www.foxitsoftware.com/shopping

ومتعدّدة: فالكلام لغة، والإيماءات لغة، والموسيقى لغة... فاللغة تراث يرتبط بوجود الكائن البشري وحضاراته المتعاقبة.

واللغة باعتبارها ظاهرة اجتماعية تصل الفرد ببقية أفراد جنسه، أو عناصر مجتمعه اللغوي الذي يعيش فيه؛ فيتواصل معهم لغويًا ويعبّر عن أغراضه، مستغلًا وظائفها التي ذكرها التواتي بن التواتي في كتابه(مفاهيم في علم اللسان/ص50) على النحو التالي:

«1- وظيفة إخبارية: أو إعلامية(expression) مجردة ومهمة اللسان في ذلك هي نقل المعلومات الموضوعية لاغير.

2- وظيفة بيانية: والغرض منه في هذا هو التعبير عن مختلف المشاعر.

3- وظيفة خطابية:(conative) أو الشعرية(poétique) والغرض منها في ذلك هو إثارة ردود أفعال وجدانية عند السامع.

4- وظيفة توصيلية أو الانتباهية(phatique): ومهمته في هذا إثارة الاستماع أيْ التّأكد من السامع لم تنقطع صلته بالمتكلم أو الإعلام بنهاية الحديث.

5- وظيفة تحقيقية(nétalangage) للسان نفسه وتتمثّل في البحث بالكلام عن الكلام وحالة تحقيق أحد المتحدثين أنّ الكلام أو الكلمة التي قد سمعها من آخر تدل عنده على ما قصده بالفعل.

6- وظيفة جمالية:(esthetique) وغايتها بلاغة العبارة ورونقها وطلاوتها أي جمالها وللسان من الإمكانات البلاغية ما لا يقل عن الإمكانات الجمالية التي تمتلكها الوسائل التبليغية الأخرى...»

والتي حصر دورها في نقل الأخبار والمعلومات.

واللغة كما هو معلوم تتكون من أصوات ومقاطع صوتية وأفعال وأسماء وحروف، والمستعمل لها في العملية التواصلية مع الآخرين؛ يحتاج إلى ملكته اللغوية أو معجمه اللغوي والذي كان قد اكتسبه من محيطه في مراحل الاكتساب المختلفة، واحتفظ به في ذاكرته، بالاستعانة ببعض

Edited with the trial version of Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit: www.foxitsoftware.com/shopping

الحركات الجسدية التي قد تصاحب عملية التواصل اللغوي؛ لتوضيح الرسالة التي هو(المتكلم) بصدد إيصالها للمُستقبِل أو شرحها له. فالمتكلم عند انجازه لهذه العملية(العملية التواصلية) يقوم بجملة من العمليات العقلية من أجل اختيار ما يناسب المقام؛ من ألفاظ وعبارات، أو الحلول المناسبة للمشكلات التي قد تعترضه، أو لنقل صورة معينة إلى ذهن المتلقي مستغلا في ذلك:

– تصوره الذهني: فالتصور أو«التخيل من العمليات العقلية المساهمة في عملية التّعلّم، فبالتخيل يستطيع الطفل أن يؤلف من الصور التي تقع تحت حسّه أو من الصور الذهنية التي يختزنها في ذاكرته أشياء جديدة ليست موجودة لا في ما هو معروض أمامه، ولا فيما مختزن في ذاكرته، ولذلك فإن التخيل هو أساس الإبداع والابتكار في مجالات العلوم والمخترعات والآداب والفنون» [1]. فالمرء بطبعه قادر على تكوين صورا ذهنية معرفية من أحداثٍ عايشها ومعالم زارها؛ فيحولها بعمليات ذهنية إلى صور ومعلومات ترتب في عقله ترتيبا معينا، ثم إذا استدعاها وقت الحاجة استحضرها فيحولها إلى ألفاظ وعبارات لوصف هذه المعالم والأحداث للآخرين.

– ذاكرته: وهي « القدرة على الاحتفاظ بما مرّ به الفرد من خبرات» [2]، أيْ: تلك العمليات العقلية التي يقوم بها الإنسان(إرادة، انتباة، مجهود...)؛ ليكتسب شتى نواحي المعارف والمهارات من المحيط (بيت، شارع، مدرسة...) والاحتفاظ بها، واستغلالها في الوقت المناسب.

وغير ذلك من العمليات الذّهنية التي يقوم بها الإنسان(التفكير، الانتباه...) أثناء إنتاج الكلام أو خلال استقبال الأخبار والمعلومات.

واللغة كخاصية إنسانية فريدة، وهذا ما ذهب إليه الفيلسوف والمؤرخ الفرنسي جورج غسدروف (j.ghasdarof) في كتابه (الكلام) فهو يرى أن اللغة هي كلمة السرّ التي تدخل الطفل العالم الإنساني، ويظهر ذلك في قوله:«...فالحدّ الذي يفصل بينهما هنا فصلًا مطلقًا هو عتبة اللّغة» [3]. أي: الحدّ الفاصل بين طفل وقرد وُضعا تحت ملاحظة ومتابعة علماء النّفس؛ إذ لاحظوا تشابه الاستجابات، وتساوي القدرة على المنافسة، لكن الفارق سرعان ما بدأ يظهر، وتعمّق أكثر بتعلّم الطّفل اللّغة، في حين بقي القرد حبيس محيطه الطّبيعي وعالم الغريزة. ومن هنا يمكن أن نطرح الإشكال التّالي: هل اللّغة ذات طابع مادّي بحت؟ بمعنى آخر هل تحقيق اللّغة يقوم على

Edited with the trial version of
Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit:
www.foxitsoftware.com/shopping

وجود وتوفّر الشّروط العضوية، أم هي وظيفة ذهنية روحية؟ هل اللّغة مكتسبة عن طريق التّعلّم؛ وبالتّالي فهي ليست موروثًا بيولوجيًّا، بل هي ميراث اجتماعي ثقافي يتغيّر عبر التّاريخ؟ وما علاقة وجودها بعقل الإنسان؟ هل هذا الوجود يعود إلى أن الإنسان يولد مزوّد بملكة لغوية، أم تُراه يكتسب هذه اللّغة من محيطه؟

للإجابة على هذه الأسئلة وغيرها ممّا قد يحيط بهذا الموضوع نحاول أن نتحسّس ذلك من خلال تتبّعنا للدّرس اللّساني، وما اشتغلت عليه النظريّات اللّسانية الحديثة بداية من النّظرية

التّحويلية التّوليدية وما توصّلت إليه من نتائج. وهل هي وحدها كفيلة بالإجابة عن التساؤلات السّابقة، وغيرها ممّا قد يخطر على بال المنشغلين بهذا المجال؟ أم تراها تحتاج إلى غيرها من العلوم العرفنية لوصف الظّاهرة اللّغوية، وكيفية حدوثها؟ وما هي العمليّات العقلية المصاحبة لها؟

للإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها ممّا قد يطرح على الباحثين في حقل الظاهرة اللغوية، وممّا يجول أيضا في أذهان الباحثين أنفسهم حول هذه الظاهرة وتفسيرها، فالكثير من جوانب البحث فيها مازالت دون تفسير علمي ؛ لذا وجب علينا التوقف عند بعض العلوم التي اهتمت باللغة وبالكيفية التي تحدث بها، والعمليات الذهنية المصاحبة لها، وغيرها من متعلقات الدرس اللغوي- كاللسانيات، والفلسفة، وعلم النفس اللغوي، وعلم النفس المعرفي...- التي تفتح لنا باب البحث في هذه الظاهرة على مصراعيه، وتسهم في تفسيرها كلٌّ من جهة اهتمامه واختصاصاته.

النّحو التّحويلي التّوليدي: يعدّ الاتّجاه الوصفي الّذي تزعّمه هاريس(z.haris) الأرضية الصّلبة الّتي مهدت لظهور النّحو التّحويلي التّوليدي في حقل الدّراسات اللّسانية اللّسانية؛ فهو يرى بأنّ اللّغة ناتجة عن الاستجابة للمؤثّرات الخارجية، وهذا المبدأ السّلوكي هو الّذي فسّر به بلومفيلد (blomfild) كافة العادات اللّغوية، فاللّغة عند السّلوكيين إنتاجًا آليًّا واستجابة كلامية ناتجة عن حافز سلوكي؛ ممّا يعني إبعاد المعنى عن الوصف اللّساني. وهذا انطلاقًا من القصّة الشائعة بين جاك وجيل والتّفاحة. حيث كانت جيل جائعة، فرأت تفاحة أثّرت فيها، فدفعها هذا إلى تحريك بعض العضلات في الجهاز الصّوتي، فنتج عن ذلك الكلام، واندفع جاك متسلّقًا الشّجرة، وأحضر لها التّفاحة.

Edited with the trial version of Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit: www.foxitsoftware.com/shopping

فالجوع هو المنبّه – عند بلومفيلد– وسلوك جاك يعدّ استجابة له. فجاء تشومسكي وانتقد هذا المبدأ السّلوكي في اللّغة والّذي يساوي بين الإنسان والحيوان، مع تميّز الأول عن الثّاني بالقدرة العقلية الابتكارية التّجديدية [4] فالنّحو عنده لا يكمن في ما نتعلّمه في المدارس، والّذي يستطيع المتكلّم من خلاله أن يمتلك مهارات ومعايير تمكّنه من استعمال لغته استعمالًا سليمًا؛ أي: « نظام من القواعد الّتي تقدّم وصفًا تركيبيًّا للجمل بطريقة واضحة، وأكثر تحديدًا، وهذا هو المراد بالنحو التوليدي، وكل متكلم تكلم لغة، يكون قد استعملها واستبطن نحوا توليديا، وهذا لا يعني أنه على وعي بالقواعد الباطنية التي يكون قد استعملها أو سيكون على وعي بها...إن النحو التوليدي يهتم بما يعرفه المتكلم فعلا وليس ما يمكنه أن يرويه من معرفته...» [5]. فالنحو التوليدي يسعى إلى توليد عدد لا متناه من الجمل الصحيحة نحويًّا ودلاليًا انطلاقًا من المعرفة غير و بقواعد لغة ما، وبنظامها التّركيبي والدّلالي.

منطلقات النّحو التّوليدي:

1– الملكة والتأدية: الملكة هي المعرفة غير الواعية لقواعد اللّغة؛ والّتي تمكن الطّفل من استيعاب لغة أمّه؛ أي أنّ الطّفل له معرفة ضمنية للغته والّتي يكتسبها من محيطه، وتبقى راسخة في ذهنه، وتجعله قادرًا على إنتاج عدد غير محدود من الجمل الّتي لم يسبق له أنّ سمعها، وقدرته على التّمييز بين لسّليم منها نحويًّا وبين غيره.

وأمّا الاستعمال فهو قدرة الطّفل على التّعبير بهذه الملكة في مواقف مادية واضحة، وبكيفيات متفاوتة (أي: تحقيق الملكة وإنجازها).

2– **الخاصيات العالمية والجمل النموذجية:** يرى تشومسكي أن للغات خاصية عالمية، وأنّها جميعها تحتوي على جمل نموذجية تتفرّع عنها جمل أخرى خاضعة للسّلامة النّحوية ومستحسنة، أي: متماشية من النّاحية التّركيبية مع قواعد اللّسان المستعمل، وموافقة له من النّاحية المعنوية. فإنتاج هذه الجمل بنوعيها – النموذجية والمتفرعة عنها– لا يحدث دون إعمال الفكر، أي: « جملة النّشاط الذّهني من تفكير وإرادة ووجدان وعاطفة، وبوجه خاص ما يتمّ به التّفكير من أفعال ذهنية كالتّحليل والتّركيب والتّنسيق »[6]. وبهذا يتجلّى الطّابع المعقّد للفكر من حيث هو نشاط عقلي

Edited with the trial version of Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit: www.foxitsoftware.com/shopping

تتداخل فيه الفطرات العقلية، من: إدراك، وتخيّل، وتحليل، وتركيب... فالتفكير بوصفه عملية عقلية يعتمد على أدوات هي المعاني ويقابلها في اللّغة الألفاظ والصّور اللّفظية [7].

علاقة علم النّفس اللّغوي بالظاهرة اللّغوية: يربط علم النفس اللّغوي بين اللّغة والإنسان، فيعتبرها سلوكًا قابلًا للدّراسة التّجريبية؛ حيث أنّ إنتاج الكلام يسبقه وتعقبه عمليات ذهنية متعدّدة، منها: الإدراك والتخيّل والتّرميز والتّفسير والتّركيب. فاللّغة واقعة اجتماعية كامنة في أذهان المجموعة اللّغوية الواحدة « فهي أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم » [8]. والأغراض تشمل المادّي المحسوس، والمعنويّ المعقول « فاللّغة كيان عام يضم النّشاط اللّغوي الإنساني ويشمل كلّ ما هو منطوق أو مكتوب أو إشارة أو اصطلاح » [9]. كعلامة لغوية يشار بها ويُفهم منها رسالة معيّنة.

فالتّعلّم أو الاكتساب عند أصحاب هذا الاتجاه (أصحاب النظرية السلوكية) هو « عملية ناجمة عن التفاعل بين الكائن الحي والمحيط، فالمحيط يتضمن العديد من المثيرات التي تتطلب من هذا الكائن الحي استجابات معينة، ويمكن أن يتكرر حدوث هذه الاستجابات إذا لقيت تدعيما خارجيا» [10]. فالتعلّم عندهم نِتاج مثير واستجابة؛ فالمحيط يستثير الكائن الحي بأحداث ووقائع وفي ظروف معينة فيستجيب لها هذا الكائن ويحولها إلى معارف ومهارات مخزنة في ذاكرته، ثم إنّ هذه المهارات والمعلومات والمعارف سرعان ما تظهر في ذهن الكائن في حالة ما حدث مثير مشابها لما كان قد أحدثها في أول الأمر، فيستغلها هذا الكائن للتوضيح أو الشرح أو لحل إشكال؛ في صورة ألفاظ وعبارات أو إيماءات أو في أي شكل تعبيري آخر.

علاقة علم النّفس المعرفي بالظاهرة اللّغوية: اختلف أهل الاختصاص في تحديد مفهوم علم النفس المعرفي، والوقوف على تعريف دقيق له؛ لاختلاف احتياجاتهم وطبيعة مواضيع أبحاثهم، فمنهم: من يرى بأنّ علم النفس المعرفي يعني الدّراسة العلمية الّتي تسعى لفهم طبيعة الذّكاء الإنساني والكيفية الّتي يفكّر بها الإنسان، ومنهم: من يعتقد أنّه يهتمّ بالعمليات الّتي من خلالها يتمّ نقل المدّخلات الحسّية وتحويلها واختصارها وتوضيحها وتخزينها واستيعابها واستعمالها. ويذهب آخرون إلى أنّ علم النّفس المعرفي هو: الدّراسة العلمية للكيفية الّتي نكتسب بها معلوماتنا عن العالم والكيفية الّتي نتمثّل بها هذه المعلومات ونحوّلها إلى علم ومعرفة وكيفية الاحتفاظ بها واستخدامها وتوظيفها في إثارة انتباهنا وسلوكنا. في حين يقدّمه آخرون على أنّه دراسة آلية معالجة المعلومات

Edited with the trial version of Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit: www.foxitsoftware.com/shopping

وما يتضمنها من عمليات: كالانتباه والتفكير والتذكّر واللّغة وحلّ المشكلات... ويعرّفه اندرسون(anderson) بأنه« العلم الّذي يدرس طبيعة البنية المعرفية للإنسان وكيفية تصرّفه في مجالات حياته اليومية » [11]. وعلى الرّغم من هذا الاختلاف؛ فالثّابت في هذه التّعريفات هو أنّ هذا العلم يهتمّ بالبحث في العمليات الفعلية الّتي ينجزها العقل البشري أثناء التفكير والتّذكّر والإدراك، وحلّ الإشكالات والعمليات المصاحبة لها من « عمليات العرفنة وأبنيتها من قبيل الإدراك والانتباه والذّاكرة واللغة والقصد والنشاط الفكري واللغوي وما إلى غير ذلك من مباحث تهمّ الانفعال والشخصية وغيرها ممّا له تفاعل مع سائر الملكات العرفنية» [12]. فهي عمليات فاعلة(إيجابية) وليست منفعلة(سلبية) على حدّ تعبير الأزهر الزنّاد في كتابه(نظريات لسانية عرفنية) لأن علم النّفس العرفني «يتصوّر أنّ الكائن يبحث بحثا إيجابيا عن المثيرات. فالدّماغ ليس إسفنجه تمتص امتصاصا سلبيّا المنبهّات أو المعلومات الواردة من المحيط وإنّما هو موطن عمليات عرفنية إيجابية تتضمّن البحث المتواصل والتّحليل والتّأليف. فالذّاكرة ليست عملية تسجيل سلبي بل هي عملية وتحليل وتصنيف وغربلة وكذا الاكتساب أو التّعلّم عامة» [13]. كما أنّه يحكم عليها بالدّقة والنّجاعة، ويتجلى ذلك في قوله:«...منها ما يهمّ الذّاكرة ومنها ما يهمّ حلّ المسائل وعمليات الفهم والتّمثيل، وجميعها ينجز بالقليل الشيء الكثير. فالكمّ الهائل من الوحدات اللّغوية(الأصوات والكلمات والأبنية الإعرابية والتّوليفات المتنوعة) لو حفظ كلّه في الذاكرة ما أمكن الدّماغ أن يسعه لأنّه محدود ماديّا، كما أنّ التّنوّع في العبارات اللّغوية وفي المتكلّمين وفي أنماط الخطإ والصواب لا تمنع جميعها الطفل في مرحلة الاكتساب من اختيار الصّحيح والاحتفاظ به » [14]. فالدّماغ البشري يستطيع أن ينجز بالقليل ممّا يحتفظ به في الذّاكرة الشيء الكثير، فطبيعته المادّية المحدودة تجعله غير مهيأ ماديا لتخزين كلّ ما يعرض عليه في مراحل التّعلّم والاكتساب من تجارب ومعلومات؛ فتجده يأخذ ما يلائمه ويتوافق مع ميولاته ورغباته وما يحتاج إليه في حياته ويستغني عن الباقي؛ ثم إذا تعرّض إلى مشكلة طارئة في حياته عاد إلى هذا المخزون ليستخدم القليل منه لحلّ هذا الإشكال؛ مستعينا بما يسمى بالعمليات العقلية من أجل الوصول إلى الحلّ المناسب والّذي لم يكن واضحا له من قبل؛ فيتخذ إجراءات معينة للوصول إلى ما يريد.

علاقة اللّسانيات العرفنية بالظّاهرة اللّغوية: يرى محمّد غاليم أنّ « التّطور الهائل الّذي تحققه بكيفية مطّردة مختلف مكونات العلوم العرفنية، كعلم النفس البشري والحيواني بفروعهما والذكاء

Edited with the trial version of
Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit:
www.foxitsoftware.com/shopping

الاصطناعي وفلسفة الذهن وفلسفة اللغة... أصبح يفرض على اللسانيات باعتبارها علما معرفيا، أخذ نتائج هذا التطور بعين الاعتبار والاندماج فيه بصورة طبيعية في البحث الساعي إلى بلورة ما أصبح يسمى اليوم نظرية صورية للمعرفة » [15]. وبالتالي ربط دراسة الظاهرة اللغوية بالدراسة المتعلقة بملكات الذهن اللغوية وغير اللغوية، وعلى كلّ المستويات الصوتية والصرفية والتركيبية والدّلالية، وكيف يتمّ تخزين واسترجاع البيانات اللغوية؟ الّذي لا يختلف عن تخزين واسترجاع بقية المعارف الأخرى من وجهة نظر اللسانيات المعرفية.

ويؤكّد أهل الاختصاص أنّ استعمال اللغة في الفهم والإدراك يوظّف إمكانات وقدرات إدراكية مماثلة لتلك المستخدمة لإدراك وتفسير الظّواهر الأخرى غير اللغوية.« فاللغة ليست نظامًا مكتفيًا بذاته ولا تقبل الوصف بمعزل عن العمليات العرفنية الأخرى، ولا يمكن تفسير السلوك اللغوي دون اعتبار آليات المعالجة العرفنية. فاللغة جزء لا ينفصل عن العرفنة البشرية، ومن المفروض على كل تفسير لساني أن يكون ملائما لما هو معلوم ثابت في المعالجة العرفنية العامة ملتزما به، فالملكة اللغوية مركوزة في المولدة النفسية العامة وهي تمثل تطورا واستقرارا لأبنية ذهنية عرفنية عامة تستوي نظاما لغويا مخصوصا أثناء الاكتساب وأثناء توظيفها في التواصل اليومي، وهي في جميع ذلك مرتبطة بعوامل التجربة ومحكومة بظواهر نفسية ليست لغوية في طبيعتها، فلا يمكن الفصل بين الملكة اللغوية وسائر المظاهر في المعالجة العرفنية » [16]. فلانقار (langar) يرى بأنّ الّذين جعلوا اللغة نظاما مكتفيا بذاته مستقلا عن باقي مظاهر المعرفة البشرية، وفصلوا بين الإعراب والدلالة؛ فاعتبروا أنّ الإعراب هو أساس النظام اللغوي(مركزية الإعراب) واعتمدوا المنطق في وصف الدلالة، قد حادوا عن الطريق؛ فتفسير الظاهرة اللغوية لا يمكن أنْ يتمّ بمعزل عن بقية الظواهر الأخرى، بل يجب أنْ يسعى اللسانيون إلى استغلال النتائج المعرفية الّتي توصّلت إليها مختلف العلوم كاللسانيات العامة، وعلم النفس اللغوي، وعلم النفس المعرفي، والذكاء الاصطناعي...لتفسير هذه الظاهرة؛ وبالتالي التّأليف بين محصّلات هذه العلوم، لا الفصل بينها [17].

علاقة الأنتربولوجيا بالظاهرة اللغوية: ترى اللسانيات العرفنية بأنّ اللغة تتجسّد في بيئة معيّنة؛ بمعنى أنّ المعاني والدّلالات الّتي ترسخ في الذّهن، والّتي يلجأ إليها المستعمل للغة أثناء الحاجة؛

Edited with the trial version of Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit: www.foxitsoftware.com/shopping

للتعبير عن شكل أو صورة معيّنة، أو تفسير ظاهرة ما وفهمها إنّما تولد في الذّهن من خلال المدركات الّتي يتمثلها البشر في ثقافته وبيئته ومحيطهّ فاللغة تؤثّر في الإدراك والعكس « وكلاهما جزء لا يتجزأ من الخبرات وبيئات مستخدميها » [18]. وهذا ما يبيّن العلاقـــة القائمة بين الثقافة والفكر البشري (الأنتربـولـوجيا العرفنية) وهـي تبحـث في «التمثيلات التي يقيمها البشر في الثقافات المختلفة عن محيطه وعن علاقته به حيث تكون الثقافة نظاما عرفنيا جماعيا له بسائر النُظم الثقافية علاقات شبه وعلاقات تميز واختلاف. والأنتربولوجيا العرفنية بحث في العلاقة بين الثقافة والذهن » [19]. أي: بحث في مدركات الإنسان ومحسوساته للأشياء التي تحصل من تجاربه السابقة، والتجارب الجارية في محيطه، ومعايشته لأحداث معينة، وملاحظاته على هذه الأشياء. فترتسم في ذهنه كأنظمة ذات معانٍ مختلفة؛ فيعتمدها في الظاهرة اللغوية؛ « فكلّ فرد يستقبل ما في البيئة المحيطة حوله من مثيرات بطريقة خاصة به تجعله مختلفًا عن الآخرين، فلا يحدث التّطابق الكلّي في عملية التّمثيل لدى الأفراد، إلا أنّها توجد إلى حدٍّ ما درجة التشابه في تمثيل بعض من مفردات البيئة، والتي تساعد الإنسان على التّعايش مع الآخرين» [20].

علاقة الذكاء الاصطناعي بالظاهرة اللغوية: يهدف الذكاء الاصطناعي إلى صنع آلة ذكية، لها القدرة على التصرف والتفاعل مع محيطها بأنْ تستقي منه المعلومات، ثمّ تعمل على ترجمتها وتحليلها وفهمها، والتصرف بعد ذلك في هذا الوسط على ضوء هذه المعلومات. وهذا لا يتأتى إلّا بتمكين الآلة من مهارات ذهنية ذكية لها قدرات الذهن البشري؛ وهذا بدوره يمكّن البشر من استغلال هذه الآلات في مجالات وأماكن يعجز البشري في الوقت الراهن الوصول إليها، كأعماق المحيطات وفي الفضاء الخارجي [21]. فالذكاء الاصطناعي عندئذ يقوم « على ركيزتين هما البرمجيات الحوسبية والآلة، فالبرمجيات تمثل الذهن البشري والآلة بأدواتها تمثل الجسم البشري بأعضائه. ولذلك تكون الآلة الذكية مجهزة بحاسوب تعمل فيه برمجيات تشغل أجهزة الآلة المختلفة » [22].

علاقة الفلسفة بالظاهرة اللغوية: اهتمّت الفلسفة كبقية العلوم العرفانية بالمعرفة، والعمليات العقلية المتداخلة، والسلوك الذهني الذي يستخدمه البشر في مختلف العمليات الذهنية والنفسية، كالإدراك والتفكير والتذكر والتحليل... وكل العمليات التي تشارك في تحويل الحسي مسموعًا كان أو ملموسًا

Edited with the trial version of Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit: www.foxitsoftware.com/shopping

أو مرئيًا أو ذوقيًا أو غير ذلك إلى مخزون فكري، يستغله الإنسان عند تعرضه إلى المثيرات؛ إذْ يقوم باستدعاء هذه الصور عبر عمليات نفسية معقّدة كالتخيل مثلا أو التذكر أو التفكير... وغيرها من المراحل التي يمر عبرها الأداء العقلي؛ ليبني على منوالها أداء لغويًا؛ ليؤدي رسالة معيّنة. فكيف نظر الفلاسفة إلى اكتساب هذه المعرفة؟

تعود الجذور الفلسفية الأولى لعلم النفس المعرفي إلى الفلسفة اليونانية التي بادرت إلى مناقشة موضوعات من صميم هذا العلم، نحو: طبيعة المعرفة، وأطوارها وطرق الوصول إليها. كما تناولوا الاستدلال ومحتويات العقل. حيث يرى أرسطو أن الملاحظة واستعمال الحواس هي سبيل الوصول إلى المعرفة. في حين ذهب أفلاطون إلى أنّ المعرفة فطرية وتولد مع الإنسان، وهي موجودة في العقل وليست مكتسبة، وذكر أنّ دور التّعلّم ينحصر في تسهيل بروز هذه المعرفة واستدعائها.

وأمّا الدّرس الفلسفي الحديث؛ فقد انقسم فيه الفلاسفة على فريقين:

* الفريق الأول: ويمثله الفلاسفة البيئيون (لوك وهيوم...) واعتقادهم ينحصر في أنّ المعرفة تتشكل لدى الإنسان من خلال الخبرة؛ فالطفل يولد صفحة بيضاء، ثم تغتني ملكته وتتشكل من خلال التفاعل مع مكونات البيئة ومسمياتها.

* الفريق الثاني: ويمثله الفلاسفة العقلانيون (ديكارت وكانط...) ورؤيتهم تتمثل في أنّ الطفل يولد وهو مزود بمعارف نظرية.

خاتمة:

من منطلق ما قال الأزهر الزناد في كتابه(نظريات لسانية عرفنية/ ص241) أنّ اللسانيات العرفنية« تسمية عامة تجري على تيار أو حركة تجمع عددا من النظريات تشترك في الأسس والمنطلقات ولكنها مختلفة متنوعة متداخلة في بنائها ومشاغلها وتوجهاتها ومجالات العناية فيها، وهي تنقسم في المطلق إلى اتجاهين كبيرين – متصارعين – الأنحاء العرفنية والنحو التوليدي في آخر تطور له(البرنامج الأدنوي أو الأدنوية).» فعلى الرغم من أنّ الأسس والمنطلقات واحدة، والأهداف المتوخاة من النحو التحويلي التوليدي واللسانيات العرفنية أيضا واحدة إلّا أن الصراع العلمي بينها لازال قائما من أجل الوصول تفسير الظاهرة اللغوية، وكيفية اكتساب المعرفة لدى

Edited with the trial version of Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit: www.foxitsoftware.com/shopping

الإنسان، وتنظيمها وحفظها في نظام على هيئة معينة في الدّماغ البشري، ثم استحضار هذا المخزون الفكري وقت الحاجة، أي: أثناء الاستعمال، والعمليات الذهنية المصاحبة له.

إنّ الحديث عن هذه الظاهرة وما يصاحبها من عمليات من الصعوبة بمكان؛ فسبر أغوار الدماغ البشري لمعرفة ما يدور في عقل الإنسان حين تحدث المثيرات، وكيف يقوم هذا الأخير بتحليلها، والاستجابة لها. يحتاج إلى تكامل جملة من العلوم العرفنية التي تتخذ الذهن البشري ميدانا لدرسها، نحو: الفلسفة، وعلم النفس التربوي، وعلم النفس العرفني، والذكاء الاصطناعي، وعلم التشريح، واللسانيات، واللسانيات العرفنية والانتربولوجيا... للإحاطة ببعض جوانب هذه الظاهرة الغامضة لتفسيرها.

الهوامش:

1– وزارة التربية الوطنية، دروس في التربية وعلم النفس، ص.274.
2- المرجع نفسه، ص.275.
3–ع/ جمال الدّين بقلي حسن وآخرون، إشكالات فلسفية، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، ص6.
4– ينظر: شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ط1، الجزائر :2004، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، ص34.
5 – ع/ المرجع السابق، ص.40.
6 – إبراهيم مدكور، المعجم الفلسفي، القاهرة:1983، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، ص137.
7– ينظر: جمال الدّين بقلي حسن وآخرون، إشكالات فلسفية، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية.
8 – ابن جني، الخصائص، ط1، بيروت(د ت) دار الكتب العلمية، ص.33.
9– عبد الصّبور شاهين، في علم اللغة العام، ط4، بيروت:1984، مؤسسة الرسالة،ص29.
10 - حفيظة تازروتي، اكتساب اللغة عند الطفل الجزائري، الجزائر:2003، دار القصبة للنشر، ص52.
11 - الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية،ط1، تونس:2010، الدار العربية للعلوم ناشرون ودار محمد علي للنشر، ص.24.
12- المرجع نفسه، ص.26.
13- المرجع نفسه، ص26.
14– موقع الأنترنيت: www aljabriabed wet/n96_05
15 – الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، ص.98.
16– ينظر: المرجع نفسه.
17 – موقع الأنترنيت: https//ar wikipidia org/wiki .
18– الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، ص.21.
19 – المرجع نفسه، ص.19.
20- موقع الأنترنيت: mawdoo3com

Edited with the trial version of
Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit:
www.foxitsoftware.com/shopping

21- ينظر: الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية.

22- المرجع نفسه، ص19.